

الفصل الثاني عشر

تكامل الشخصية

لقد رأينا من تحليلنا للنواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية أن من الممكن أن نصل في هذا التحليل إلى عدد لا نهائى من العناصر والصفات التى يمكن أن تختلف فى النوع والكم والكيف. وقد رأينا أن من الممكن أن نرجع اختلاف الشخصيات وتباين الأفراد إلى ذلك العدد الكبير من التباديل والتوافيق التى يمكن أن تتجمع بها مجموعة الصفات التى تمثل نواحي الشخصية وأركانها الرئيسية بحيث تتكون منها التنظيميات والتشكيلات التى يتكون بها الفرد .

ولكن ليس المهم فى دراستنا للشخصية أن نعرف تحليل الصفات التى تكونها فقط ، بل يجب أيضاً أن نقف على مدى ما يحدث بين هذه العناصر من توافق وتداخل وانسجام فى التركيب بحيث تنتج منها تلك الوحدة التى لا تتجزأ ، وأن نعرف إلى أى حد تتميز الشخصية بالنضوج والتكامل والصحة الجسمية والنفسية .

معنى التكامل :

التكامل يفيد النمو والنضوج مع التوافق والانسجام بين الأجزاء لتتكون منها وحدة أو كل عام ، فهو إذن عملية مستمرة باستمرار الحياة ، ولسكن السكالم التام أمر نظرى ، ولذا يمكن أن نعتبر أن لكل شخصية درجة من التكامل تزيد أو تنقص بحسب عوامل كثيرة ، وأن التكامل غاية ترمى إليها التربية بما تحدثه من التغيرات المتتابة التى يتسع نطاقها باتساع الدائرة التى يعيش بها الشخص فى مراحل نموه المختلفة .

ويمكن أن ندرك معنى التكامل بوضوح أكثر إذا تأملنا العدد الكبير من الخلايا التى يتكون منها الجسم ، وكيف تتجمع وتنظم هذه الخلايا فى مجموعات ووحدات بحيث تكاد كل خلية أن تفقد فرديتها تماما . وكيف أن هذه الوحدات تنظم مع بعضها لتكون أعضاء الجسم . . وكيف ينتج من هذا كله تلك الوحدة الكبيرة التى تمثل الجسم كله .

ويضاف إلى ذلك ما يحدث من الترابط والانتظام بين الوظائف الفسيولوجية التى تؤدىها أعضاء الجسم وأجهزته المختلفة فى تآلف وانسجام ، بحيث يكون الإنتاج النهائى مبنياً عليها جميعاً وبحيث يتأثر هذا الإنتاج كله إذا انتاب أحد الأجزاء مرضاً أو تعطىلاً . .

ويقول شرنجتون (Sherrington) عالم الفسيولوجيا الشهير أن من الممكن اعتبار وظائف أجزاء الجهاز العصبي الرئيسية قائمة على معنى التكامل الذي يمكن أن نلمس فيه نوعا من التدرج الواضح ؛ فالنخاع الشوكي مثلا يعتبر مركزاً يقوم بوظيفة تكامل الأفعال المنعكسة ، بينما الخنخيع يعتبر المركز المسئول عن تكامل حركات الاتزان بما تشمله من الأفعال منعكسة أيضاً ، وأما المخ فهو المركز الرئيسي الذي يقوم بعملية التكامل لجميع الوظائف التي يقوم بها النخاع الشوكي والنخاع المستطيل والخنخيع وباقي أجزاء الجهاز العصبي كلها . . .

هذا ويصح أن نشير إلى تكامل العمليات العقلية ونواحي السلوك المختلفة بتقدم مراحل نمو الشخصية ، فمن المعروف أن تصرفات الطفل تتكون من وحدات جزئية مبعثرة ومفككة في مراحل الحياة الأولى ، ولكن بمرور الزمن لا تلبث أن يحدث بينها نوع من التوافق والتجمع في وحدات متعاونة أكبر فأكبر ، كما يحدث في تكوين العادات والمهارات الحركية مثلا ، ثم يحدث التكامل في مجموعات من العادات والصفات لتتكون الطباع العامة ، وهذه الطباع تتكامل مع العواطف وأنماط التصرف في البيئة لتتكون منها الصفات الخلقية . . وهكذا .

الصحة النفسية : (١)

عما سبق يتضح أن التكامل بما ينطوى عليه من نمو وتوافق بين مكونات الشخصية كلها يعتبر عاملاً هاماً في الصحة النفسية ، فكما أن التكامل بين أجزاء الجسم والتوافق بين الوظائف المختلفة يؤدي إلى الصحة الجسمية فكذلك نجد أن الصحة النفسية تتضمن ما يأتي : —

١ — النمو الكامل لجميع القدرات والاستعدادات والنزعات الفطرية والمكتسبة .

٢ — تمكن هذه النزعات والاستعدادات والقدرات من التعبير عن نفسها .

٣ — التوافق والانسجام وعدم وجود التصادم بين هذه النزعات في أثناء تعبيرها عن نفسها .

٤ — عدم تعارض هذه النزعات مع مقتضيات البيئة المادية والاجتماعية .

٥ — الخلو من الاضطرابات والأمراض النفسية والعقلية .

٦ — الشعور بالقدرة على العمل والإنتاج والإحساس بالكفاية والسعادة .

(١) انظر كتاب أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصي .

هذا ويمكن أن نقارن بين الأشخاص من حيث تكامل شخصياتهم ومن حيث مدى ما لديهم من الصحة النفسية بما يأتي : —

أولا : مستوى الإنتاج العقلي :

فلكل شخص طاقة محدودة وكفاية خاصة إذا قل الإنتاج عنها كان الشخص خاملا كسولا ضعيف الشخصية ، وإذا زاد الإنتاج عن حدوده فإن ذلك يكون على حساب أعصاب الشخص فيؤدي إلى الإرهاق والانهيار العصبي . وهناك أشخاص تسوقهم أعصابهم المتعبة وقلقهم النفسي إلى مضاعفة مجهودهم بشكل مبالغ فيه فيحدث لهم الانهيار العصبي نتيجة ذلك الإرهاق .

ثانيا : مدى التكيف الاجتماعي :

فالإنسان اجتماعي بطبعه ، وقد رأينا كيف تختلف الميول والأهواء وكيف تتباين الصفات النفسية والخلقية بين الأشخاص ، ولكن من دلائل الصحة النفسية قدرة الشخص على الانسجام في الوسط الذي يتعامل معه وما تمليه قوى المجتمع من تقاليد وعادات ونظم دينية وسياسية وغيرها .

أما من يخرج على قومه وتتباين طباعه مع المألوف والسائد في بيئته فإنه يعتبر شاذا ، فالشذوذ في الناحية الاجتماعية يعتبر

أمرأ نسبيا كما قلنا بحيث أن ما هو شاذ في وسط ما قد يكون عاديا في وسط آخر .

ولكن ليس معنى هذا أن المجتمع دائماً يكون صوابا أو صالحا ، ولذا فالتكليف الصحيح يتطلب أكثر من مجرد الاستسلام لما يجري في المجتمع بأن يحاول الشخص أن يساهم في إعلائه وتقدمه ورقيه .

ويمكن أن نحكم على تصرفات الشخص الاجتماعية في الفواحي الآتية : —

- ١ — تكليف المرء نحو نفسه .
- ٢ — » » » عائلته وفي زواجه .
- ٣ — » » » من يحيطون به في ميدان العمل .
- ٤ — » » » باقي أفراد المجتمع الذي يعيش فيه .
- ٥ — الاتجاهات العقلية نحو الإنسانية والمثل العليا .

انحلال الشخصية :

وإذا أصيبت الشخصية بالتفكك والانحلال فإن هذا يؤدي إلى حدوث المشكلات والأمراض النفسية ونواحي الشذوذ التي يمكن أن نلحس أمرها فيما يأتي : —

١ — الشذوذ في النواحي الجسمية كما يظهر في الأمراض الجسمية
ومشا كل ذوى العاهات .

٢ — الشذوذ في النواحي العقلية المعرفية كما يظهر في حالات
الضعف العقلي بأنواعه .

٣ — الشذوذ في النواحي المزاجية كما يظهر في مشكلات
الأطفال والأمراض النفسية .

٤ — الشذوذ في النواحي الخلقية والاجتماعية كما يظهر في التشرد
والانحراف وارتكاب الجرائم .

هذا ويجب أن نؤكد مرة أخرى أن الشذوذ في أى ناحية
من نواحي الشخصية يؤثر على باقى النواحي الأخرى ، كما أن
الشذوذ والانحراف لا يرجع اسبب واحد وإنما تكون له غالبا
جملة أسباب .